الصاعقة السابعة والخمسون: أتُراها لكثرةِ العُشّاق(*)

أتُراها لكثـــرةِ العُـــشّـــاقِ ... تحـــسبُ الدمعَ خلقـــةً في المآقي
كـيفَ ترثي التي ترَى كلَّ جـفْنٍ ... راءها غـيـرَ جـفنِها غـيـرَ راقي(١)
أنتِ منا فـتنتِ نفـسَكِ لكنّـ ... ـكِ عُـوفيتِ منْ ضنًى واشتـياقِ
حُلتِ دونَ المزارِ فـاليـومَ لو زرْ ... تِ لحـالَ النُّحـولُ دونَ العناقِ
إن لحـظًا أدمـتـهِ وأدمْـنا ... كـانَ عـمـدًا لنا وحـتفَ اتفـاقِ
لو عـدا عنْكِ غـيـرَ هجـرِكِ بُعـدٌ ... لأرارَ الـرّسـيـمُ مخَّ المناقي(٢)
ولسـرْنا ولو وصلْنا عليـهـا ... مـثلَ أنفـاسنا على الأرمـاقِ
مـا بنا منْ هوى العـيـونِ اللواتي ... لونُ أشـفـارِهنّ لونُ الحـداقِ
قـصّـرتْ مُـدّةَ الليـالي المواضي ... فـأطالتْ بهـا الليـالي البـواقي
كـاثرتْ نائلَ الأمـيـرِ من الما ... لِ بمـا نـوّلـتْ مـن الإيـراقِ(٣)
ليسَ إلا أبـا العـشـائرِ خلقٌ ... سـادَ هذا الأنامَ باسـتـحـقـاقِ
طاعنُ الطعنةِ التي تطعنُ الفـيـ ... ـلقَ بـالذعـرِ والدمِ المُهـراقِ
ذاتُ فـرغٍ كـأنّهـا في حـشـا المُخـ ... ـبَـرِ عنهـا منْ شـدّةِ الإطراقِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح أبا العشائر الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن حمدان العدوي.
(١) راءها: مقلوب رآها. راقي: منقطع الدم.
(٢) الرسيم: ضرب من سير الإبل. المناقي: النوق السّمان.
(٣) الإيراق: مصدر أورق الطالب إذا لم ينلْ.

ضـاربُ الهـامِ في الغبـار ومـا يرْ ... هبُ أن يشـربَ الذي هو سـاقِ
فـوقَ شـقّـاء للاشّقِ مـجـالٌ ... بين أرسـاغِـهـا وبين الصّـفـاقِ[1]
مـا رآها مكـذِّبُ الـرسـلِ إلا ... صـدّقَ القـولَ في صـفـاتِ البـراقِ
هـمُّـهُ في ذوي الأسنّةِ لا فـيـ ... ـهـا وأطرافُـهـا له كـالنطاقِ
ثـاقبُ الـرأي ثـابـتُ الحِلْمِ لا يقـ ... ـدرُ أمـرٌ لـهُ عـلى إقـلاقِ
يا بني الحـارثِ بنِ لُقـمـانَ لا تعـ ... ـدمْكُمُ في الوغى مـتـونُ العـتـاقِ
بعـثـوا الرُّعب في قلوبِ الأعـاد ... ي فكانَ القـتـالُ قـبلَ التـلاقي
وتكـادُ الظبـا لما عـوّدوها ... تنتـضي نفـسَـهـا إلى الأعناقِ
وإذا أشـفقَ الفـوارسُ من وقـ ... ـع القنا أشـفـقُـوا منَ الإشـفـاقِ
كلُّ ذمـرٍ يزدادُ في الموتِ حُـسنًا ... كـبـدورٍ تمامُـهـا في المحـاقِ[2]
جـاعلٍ درعَـهُ منيّـتَـهُ إن ... لم يكنْ دونَـهـا منَ العـارِ واقِ
كـرمٌ خـشّنَ الجـوانبَ منهمُ ... فـهـوَ كـالماءِ في الشِّـفـارِ الرقـاقِ
ومـعـالٍ إذا ادّعـاها سـواهُمْ ... لزمـتْـهُ جنايةُ السُّـرّاقِ
يا ابنَ منْ كلّمـا بدوتَ بدا لي ... غـائبَ الشخصِ حاضـرَ الأخـلاقِ
لـو تنكّـرْتَ في المكَـرِّ لقـومٍ ... حـلفُـوا أنّـكَ ابـنـهُ بـالطّلاقِ

(١) الأشق: الحصان الطويل. الصفاق: جلد البطن.
(٢) المحاق: آخر ليالي القمر.

كـيفَ يقـوى بكفّكَ الزَّنـدُ والآ ... فـاقُ فـيـهـا كـالكفِّ في الآفـاقِ
قلْ نفعَ الحـديدُ فـيكَ فـمـا يلـ ... ـقـاكَ إلا منْ سـيـفُـهُ منْ نفـاقِ
إلفُ هـذا الهـواءِ أوقعَ في الأنـ ... ـفسِ أنّ الحِـمَـامَ مـرُّ المذاقِ
والأسى قـبلَ فـرقـةِ الروحِ عـجـزٌ ... والأسى لا يكونُ بعـد الفـراقِ
كم ثَـراءٍ فَـرَّجتَ بـالرّمحِ عـنهُ ... كـانَ منْ بـخلِ أهلهِ في وِثاقِ
والغِنى في يَدِ اللئـيمِ قَـبـيحٌ ... قَـدرَ قُـبحِ الكريمِ في الإمـلاقِ
ليس قولي في شمسِ فعلِكَ كالشمـ ... ـسِ ولكنْ كالشمس في الإشراقِ
شـاعـرُ المجـدِ خِـدْنُه شـاعـرُ اللفـ ... ـظِ كـلانا ربُّ المعـاني الدّقـاقِ
لم تـزلْ تـسـمعُ المديحَ ولـكنْ ... صـهـيلَ الجـيـادِ غـيـرُ النُّهـاقِ
ليتَ لي مثلَ جدّ ذا الدّهرِ في الأد ... هـرِ أو رزقِـه مـنَ الأرزاقِ
أنتَ فـيـه وكـانَ كلُّ زمـانٍ ... يشـتـهي بعضَ ذا على الخـلاقِ